أثر التنوع الثقافي

في

تعدد الاتجاهات التفسيرية المعاصرة

م.م. عبدالله يوسف نافع & أ.م.د قيس جليل كريم

مقدمة

إن الملاحظ لتفاسير القرآن الكريم على مرّ العصور يجد أن هذه التفاسير ومنذ نشأتها الأول كانت في تطور مستمر على مستوى المناهج والاتجاهات والطرق، ومع أننا نعترف أن هذ المصطلحات قد طرقت على الساحة التفسيرية في وقت متأخر إلا إننا لا ننكر وجود آثارها وسماتها في تفاسير القدماء.

لقد برزت في العصر الحديث اتجاهات متنوعة لتفسير النص القرآني، كان للتنوع الثقافي الأثر الاكبر في تنوعها، وقد كان للتنوع الثقافي مجالات مختلفة، شكّلت هذه الاتجاهات التفسيرية، حاولت أن أجمعها بشكل مقتضب مستخلصا أبرز النتائج من خلال ما كتبتُ، ومن الله التوفيق.

المطلب الأول

مقدمات اصطلاحية

يتضمن هذا المبحث التعريف بعنوان البحث وحدوده التي لا بد من بيانها، ويتضمن هذا المطلب بيان ما يلي:

أولا: مفهوم التنوع الثقافي

يعتبر التنوع الثقافي من أقدم الظواهر الثقافية على الإطلاق؛ ذلك لأن الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة وجدت منذ العصور الأولى التي خلق فيها الإنسان لذا فإن التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية يعتبر صفة ملازمة مع تواجد الكائن البشري.[١]

وبعكس الاختلافات الناجمة عن الخيارات الفردية، تحمل الاختلافات الثقافية قدرا من السلطة، وتتم عملية تأطيرها وهيكلتها بفعل تجسدها في نظام المعنى والأهمية المشتركة والمتوارثة تاريخيا في ثقافة من الثقافات، لهذا فإن استخدام تعبير "التنوع" جاء للإشارة إلى الإختلافات المستمدة من بنية الثقافة، أي: الإختلافات المتجذرة ثقافيا.[٢]

هذا وإن القيمة التفسيرية التي يبرّزها مفهوم التنوع الثقافي هي مرونة النص القرآني وقابليته لاستيعاب العديد من المناهج والاتجاهات التي تسعى لفهم المعنى المراد من النص القرآني، كما إنني اعتبر التنوع الثقافي قيمة متجذرة في النص القرآني على مدى تاريخه.

وقد كان لهذه القيمة التي ذكرت أثر الأكبر في ترك هذا التراث المهول من التفاسير التي وصلت إلينا، والتي سمعنا وقرأنا عنها وقد فُقدت، فكان أن تميز كل تفسير من التفاسير بمظاهر ثقافية تختلف عما سواه، مثلّت خصوصية العلاقة بين المفسر والنص القرآني.

---

[١] ينظر: التنوع الثقافي وعلاقته بالقيم التنظيمية داخل المنظمات متعددة الجنسيات في الجزائر، عبد المجيد بكاي، (ص: ٦٨).

[٢] ينظر: التنوع اثلقافي من منظور الأمن المجتمعي، منيغر سناء، (ص: ٥).

أما التنوع الثقافي في التفسير العصري فقد برز بشكل واضح جدا، حيث تظافرت العديد من الأسباب التي أدت إلى تنوع الاتجاهات التفسيرية وتعدد المناهج والطرق في تفسير القرآن الكريم، ونحن قد تعمدنا أن تكون دراستنا منصبة على أثر التنوع الثقافي في الاتجاهات التفسيرية؛ ذلك لأن المساحة الأوسع التي شغلها هذا التنوع كانت في الاتجاهات التفسيرية، حيث تكاد أن تكون في بعض الأحيان متباينة تماما فيما بينها دون وجود أي حلقات التقاء تجمعها.

ثانيا: مفهوم الاتجاه التفسيري

يعتبر مصطلح الاتجاه التفسيري من المصطلحات الحديثة، حيث لم يكن له حدا معروفا في العصور السابقة من عصور التفسير، وإن برزت أثاره ووجدت معالمه، ونحن إذ نبين مفهوم الاتجاه التفسيري يكون علينا من باب الإلزام أن نبين الفرق بينه وبين المنهج التفسيري.

فالاتجاه التفسيرِي: هو مجموعة من المبادئ والأفكار المحدَّدة، التي يربطها إطارٌ نَظَرِيٌّ، وتهدف إلى غايةٍ بعينها. أما **المنهجُ التفسيرِيُّ:** على الوسيلة التي تحقق غاية الاتّجاه التفسيرِيّ، والوعاءِ الذي يحتوي أفكار هذا الاتّجاه التفسيرِي أو ذاك.[1]

فالاتجاه هو غاية التي يريد الوصول اليها المفسر في تفسيره، أما المنهج فهو الوسيلة التي يتوصل بها إلى تلك الغاية.

ثالثا: مفهوم المعاصرة التفسيرية

لقد أصبحت المعاصرة والعصرية القيم العليا السائدة في هذا العصر وكأنها الأصل المرجوع اليه والمسلمة المبدوء بها في معالجة القضايا والترجيح بين الحلول.[2]

وقد تفاقم الأمر عندما ارتبط مفهوم المعاصرة بكل ما يضاد الرجعية والتخلف ثم تطور المفهوم ليصير العصري هو المنمق بخصائص الغرب الحضارية بحكم أنه رمز الحضارة والتمدن بينما الباحث عن الأصالة والقيم رجعي متخلف يسبح عكس تيار العولمة.[3]

---

[1] ينظر: اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر، محمد شريف،(ص: ٦٨).

[2] ينظر: ماهية المعاصرة، طارق البشري، (ص: ٤٨).

[3] ينظر: المصدر نفسه: (ص: ٤٩– ٥٢).

ولكن مع هذا التغريب الحاصل، فقد بين الإسلام عن موقفه من المعاصرة التي يقدرها ويحترمها، كما إنه يقدر التطور وحركة التاريخ، ويقدر المتغيرات، ويقدر الانفتاح؛ ولكنه يضع لكل هذه المعايير ضوابط وقوانين من شأنها أن تحفظ له جوهره وتحول دون تمزق كيانه وثوابته.[١]

إن ربط التفسير بالضرورة العصرية ينم عن خلل فكري في تصور علاقة التفسير بالعصر أي في تصور ضرورة معاصرة وعصرية التفسير، والحاجة للتفسير في حدود احتياجات العصر والواقع.[٢] إذ ليس من المعقول أن يحتكر التفسير عصر واحد، أو أن يترفع عصر عن الحاجة للتفسير ولو كان عصر النبوة والوحي، فالقرآن أجل من أن يحتكره عقل واحد وعصر واحد.[٣]

ولقد يرى الباحث في تفاسير القرآن عبر مرور الأزمان مدى الاضافات التفسيرية التي التي تتابعت على مدى العصور وتلاحقها، وكيف استطاع العقل التفسيري في كل عصر من العصور بما يمتلكه من أدوات التفسير وضوابط التأهيل وشروطه أن يضيف إلى تفسير النص القرآني، وكل ذلك كان تابعا للتطور الحضاري والفكري ومستجدات الأحداث ولوازم التغيير الملائم للواقع ، يقول د. محسن عبد الحميد : "من المحال على البشرية أن تفهم كمالات القرآن من نواحي الوجود كلها في عصر واحد اذ باستطاعة كل عصر أن يضيف الى تفسير الآيات المتعلقة بتلك الموضوعات مما يستجد أمامه من العلوم والمعارف نتيجة لتطور الحضارة ونمو الثقافة، أي: ان تفسير القرآن في عصر ما يتأثر تأثراً كبيراً بالمستوى العقلي والحضاري الذي وصل اليه المسلمون.[٤]

وهكذا يرى الدكتور محسن عبدالحميد أن تفسير النص القرآني لا ينفك عن تأثره بالعصر الذي دُوّن به، وأنه باستطاعة كل من العصور أن يضيف شيء الى تفسير القرآن الكريم، وأما الأستاذ سعيد حوى فقد كان كلامه واضحا جدا في هذه المسألة، فقد صرّح بأن التفسير الذي لا

---

[١] ينظر: المعاصرة في إطار الأصالة، أنور الجندي، (ص: ٢٢– ٢٣).

[٢] ينظر: السنن الالهية وتفسير القرآن في العصر الحديث، عمر حيدوسي، (ص: ١١٤).

[٣] ينظر: اتجاه التفسير في العصر الحديث، مصطفى محمد الحديدي الطير، (ص:١٠).

[٤] ينظر: دراسات في أصول التفسير، محسن عبدالحميد، (ص:٩).

يخدم قضايا العصر لا يعد تفسيرا نافعا، ولا جهدا محمودا، إذ يقول: "وأما بالنسبة للتفسير فإذا لم تخدم قضية الايمان فيه في عصرنا المادي الشهواني فكأن المفسر لم يفعل شيء".[١]

ومن ثم فإنه من واجب المسلمين في كل عصر ومصر أن يتفاعلوا مع القرآن الكريم فهماً وتفهيماً، وعلى المتخصصين منهم في التفسير أن يجتهدوا في تفسير القرآن الكريم في ضوء حاجة العصر وعطاءاته المعرفية المتجددة ومواكبة الأحداث الطارئة التي كانت ولاتزال في توسيع مستمر يوسع بالضرورة مجال الأدوات التفسيرية، وبالتالي مجال العملية التفسيرية برمتها.[٢]

رابعا: الاتجاهات التفسيرية المعاصرة

شهدت العملية التفسيرية انتقالة مرحلية مهمة في العصر الحديث، حيث انتقلت إلى مستوى معرفي جديد في الطرح، وهي بداية ظهور الاتجاهات التفسيرية، ولقد حدد الدكتور عبدالحميد بوكعباش هذه المرحلة، إذ يقول: "فالتفسير قبل المنار كان شرحا يتنوع إلى مذاهب، ويشمل كل مذهب آراء عقلية وأفكار نظرية لكنه في العصر الحديث صار يتنوع إلى اتجاهات".[٣]

لقد أصبح التفسير بعد ظهور الاتجاهات التفسيرية معالجة عملية لما طرأ من مستجدات، فلم يعد مجرد بحث نظري أو تطبيق لغوي أو فقهي كما كان المفسر القديم، بل صار المفسر في العصر الحديث أكثر تذاكر لواقع أمته، واكثر استحضارا لهدفه من عمله التفسيري، فقد صار التفسير موجها بغايات تحكمه وتوجهه.[٤]

لقد اعتبرتُ تفسير المنار هو بداية ظهور الحركة المعاصرة في التفسير، حيث كان بداية التجديد والطفرة النوعية التي أخذت التفسير الى قوالب جديدة على غير الذي كانت عليه قبل ذلك.

---

[١] الأساس في التفسير، سعيد حوى، (١/ ١٣).

[٢] ينظر: ملامح التنوير في مناهج التفسير، محمود عزب، (ص: ٦٢).

[٣] التفسير والمعرفة الحديثة، عبدالحميد بوكعباش، (ص: ٣٧).

[٤] ينظر: قضايا إنسانية في التفسير، عفت الشرقاوي، (ص: ٨٠).

وبعد أن أجلتُ النظر في المؤلفات التي اهتمت بمناهج المفسرين، ومع متابعة للساحة التفسيرية المعاصرة، والقراءة في مخرجاتها، توصلت إلى تقسيم الاتجاهات التفسيرية الى:

أولا: الاتجاه الاجتهادي الروائي: وهذا النوع لا يكاد يضيف شيء إلى التفسير إلا من ناحية الشكل، فهي تفاسير لا تخلو من الاجتهاد لكن هذا الاجتهاد صُب معظمه على شكل التفسير وكيفية تصنيفه، ويتضمن ثلاث اتجاهات فرعية، وهي:

١- **التفسير النقلي الأثري:** ويعتبر هذا النوع امتدادا للمدرسة الأثرية في التفسير، وأما جانب التجديد فيه فيكمن في إعادة التبويب والتهذيب وكذلك من خلال الاختصار للتفاسير المتقدمة وتشذيبها.

٢- **التفسير الفقهي:** وهو التفسير الذي اهتم بنقل النصوص الفقهية من بطون المرويات التفسيرية نقلا مرتبا مع موازنة بين الأقوال المنقولة والترجيح فيما بينها.

٣- **التفسير التعليمي "الميسر"**: وهي التفاسير التي كتبت للعامة مُجتذبة مادتها من التفاسير القديمة بأسلوب بسيط ولغة سهلة خالية من التعقيد، فكان هدف مؤلفيها التيسير من خلال جعلها في متناول فهوم العامة.

ثانيا: الاتجاه التجديدي المنضبط: ويتضمن هذا النوع ثلاثة اتجاهات، وهي:

١- **الاتجاه الاجتماعي:** وهذا النوع يغلب عليه الجانب الإصلاحي، فهو من اسمه يدل على أنه موجها الى المجتمع لإصلاحه وهدايته.

٢- **الاتجاه الأدبي:** ويشتمل على جميع ألوان الاتجاه الأدبي: اللغوي، والبياني، والذوقي.

٣- **الاتجاه العلمي:** يعتبر الاتجاه العلمي ثالث الاتجاهات التجديدية برغم ما عليه من تحفظات ولكنه يعتبر اتجاها تجديديا هاما لا يمكن تجاهله.

ثالثا: القراءة الحداثية "التأويل الحداثي": يعتبر التأويل الحداثي من الاتجاهات الجديدة التي حاولت فهم النص القرآني وتفسيره برؤية منفلته عن نهج السلف، وبقواعد وأدوات دخيلة على المنظور الإسلامي الذي وضع وأصلّ شروطا وضوابط لتفسير القران الكريم.

المطلب الثاني

أسباب تنوع الاتجاهات التفسيرية

إن أسباب تنوع الاتجاهات التفسيرية ترجع الى محورين أساسيين يدخل في ضمنهما جميع الأسباب، فالمحور الأول هو محور داخلي يمثل شخصية المفسر وثقافته، والمحور الثاني يمثل البيئة التي تحتضن المفسر، وسنتناول ذلك الأمر بالتفصيل:

أولا: شخصية المفسر: وتتمثل شخصية المفسر وثقافته فيما يلي:

١- **ذوق المفسر:** يعتبر ذوق المفسر وقدراته التفسيرية من اهم العوامل التي تأثر في رسم اتجاه معين لتفسيره الذي هو بصدده، فمن المعلوم أن لكل مفسر منهج واتجاه معينين يتخذهما لكتابة تفسيره.

فالمفسر يعتقد بقرارة نفسه هذا الاتجاه المعين الذي اتخذه في التفسير هو الاتجاه الأصلح والأنفع للتفسير، ملائمة للعصر ومحاولة لتقريب فهم الناس للقران وتبسيطه، وتفهيم القران لبني البشرية هو الهدف الأول والقاعدة الأساس من تفسير القران وإرساء موائنه، قال تعالى: (وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ).[١]

٢- **أدوات المفسر وإمكاناته:** من المعلوم بداهة، أن كل اتجاه تفسيري يتخذه أي مفسر لمنحى تفسيره، لابد وأن يكون المفسر ممتلكا للقدرات التي تؤهله لسلوك هذا الاتجاه، محيطا جامعا لأدواته، بارعا موهوبا في التوليف بين قدراته الشخصية وذوقه ليتمكن من صياغة هذا التفسير كما شاء وفكر.

إن اختلاف الادوات التفسير ما بين مفسر واخر وتعدد الأذواق أسهم في التنوع الحاصل في التفاسير، حيث أن كل من الأذواق والأدوات معالم ثقافية تتسم بالتفاوت كثرة وقلة ما بين مفسر واخر، ولذا فإنهما يعتبران جزءا مهما واساسيا من المادة الثقافية في شخصية المفسر؛ ولأجل ذلك تنوعت التفاسير المعاصرة بحسب تنوع هذا المحصول وتفاوته من ما بين مفسر واخر.

---

[١] سورة النحل، الآية: ٤٤.

ومن خلال تقسيمنا لاتجاهات التفسير المعاصرة، نلاحظ أن هذا العامل أثر في تنوع هذه التفاسير واختلاف اتجاهات المفسرين في تأليفها، فهناك التفسير الأثري الذي يعتبر امتدادا للتفاسير الاصيلة التي اعتمدت على تفسيرها بالنقل والرواية، ولكن حظي باهتمام وتشذيب لجوانب كثيرة، كحذف الاسرائيليات والاحاديث الواهية من التفسير، وكذلك حذف المسائل الكلامية والفلسفية التي أطال النفس بها بعض المفسرين المتقدمين كالرازي وغيره.[١]

وقد يجتمع مفسران على اتجاه تفسيري واحد؛ ولكن قد يختلفان في المنهج المتبع في التفسير، فقد يكون تفسير أحدهم موضوعيا والآخر تحليليا أو ترتيبيا، وقد يكون التفسير مفصلا وقد يكون مختصرا،[٢] فهذه الأساليب المتنوعة واختلافها من مفسر لآخر أدت الى اختلاف توجهات المفسر هذا كله محكوم بإمكانية المفسر في توظيف قدراته وموهبته في استخدام أسلوب معين يستطيع أن يبدع من خلاله.

وفي هذا الوقت تبرز أهمية علم الموهبة الذي يمتلكه المفسر ومدى قوته ورسوخه عند المفسر إذ إنه هو الذي يستطيع التوظيف بين الذوق التفسيري للمفسر وبين الأدوات والاتجاه التفسيري الذي كتب فيه المفسر، فالحس والموهبة التفسيرية ضابط نتج عن الجمع بين الضوابط الدينية والخلقية والضوابط العلمية، والأولى أن يكون ثمرة لتحصيل الضوابط الدينية والتأهيل العلمي؛ إذ لا يتصور علم الموهبة فيمن فقد أحدهما،[٣] وقد عرّفه الإمام الاصبهاني، فقال: "علم الموهبة: وهو علم يورثه الله لمن عمل بما عمل".[٤]

ولعل أحدهم يستشكل قائلا: إن علم الموهبة شيء ليس في مقدرة الإنسان فيقال له: إن علم الموهبة يتحصل عليه المفسر من خلا عمله بما يعمل والزهد في مآرب الدنيا، فالناظر في كلام الله لا يحصل على الفهم الصحيح، وفي قلبه بدعة، أو كبر أو هوى، أو حب للدنيا، فعلم

---

[١] ينظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، (٣٦٣/٢).

[٢] ينظر: دروس في اتجاهات المفسرين، محمد علي الرضائي، (ص: ٢٤).

[٣] ينظر: التجديد في التفسير في العصر الحديث، دلال السلمي، (ص: ١٥١).

[٤] مقدمة جامع التفاسير، الراغب الاصبهاني، (ص: ٩٥).

الموهبة ثمرة من ثمرات التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1]، أي: معنى في القلب يفرق بين الحق والباطل.[2]

فهذه الثلاثية المتعلقة بشخصية المفسر مرتبة وتراكمية فالمفسر إن امتلك الأدوات التفسيرية وبرع بأحد العلوم ورأى أن استخدامه في التفسير هو المحطة التي من خلالها يستطيع تفهيم القران للناس، فيجتهد من خلال ما رزقه الله من موهبة في توظيف تفسيره في الاتجاه الذي يريد، فمن حصل على الامور التي يُتحصل عليها بالاكتساب، واجتهد في العمل بها، وهبه الله العلم الذي لا يتحصل عليه بالكسب، والمفسرون كما معلوم ومُدرك اختلفوا في الاهتمامات والتحصيلات والأذواق.

وبذلك تعددت الاتجاهات وتمايزت تبعا لتباين المفسرين، فكل مفسر من المفسرين انتهج الاتجاه الذي يراه الأنسب في تحقيق الغاية من تفسيره، وأنه هو ما تحتاج اليه الأمة اليوم، فخرج المهتم بالتفسير الاجتماعي الاصلاحي، وخرج المهتم بالتفسير الأدبي، وخرج المهتم بالتفاسير الحداثية المتأثرة بالغرب وعلمانيته، وبقس جمع من المفسرين على طريقة التفسير الروائي، مع بعض التجديد فيه الذي يتمثل في تنقيته من الشوائب، وصفه في قوالب تفسيرية جديدة وعرضه على الناس بسهولة ويسر، وهكذا فقد كان لكل مشتغل بالتفسير اتجاه خاص به، أسهم في توسيع المكتبة التفسيرية وإثرائها معرفيا.

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٢٩.

[2] ينظر: الاتقان في علوم القران، السيوطي، (٢١٦/٤). البرهان في علوم القران، الزركشي، (٥٣/٢).

ثانيا: بيئة المفسر: تتمثل بيئة المفسر في المكان المحيط بالمفسر وما يتأثر به من عادات وعوامل سياسية واجتماعية وغير ذلك من كل ما هو مؤثر بشكل أو بآخر في تنوع الاتجاهات وتباينها.

فقد كان للعامل السياسي أثر في تنوع الاتجاهات التفسيرية بين المفسرين، فقد افرزت السلطة السياسية إفرازات أثرت في عقلية المفسر من خلال توجيه النص القرآني، فقد كانت التأويلات العقلية التي جرت في إطار قواعد اللغة العربية أو عُرف العرب في الاستعمال، معبرة بشكل أو بآخر عن حركة تطور داخلية في الصراع السياسي الذي يشهده الواقع التفسيري بشكل خاص والواقع الاسلامي بشكل عام.

ومما يجب أن يُعترف به "أن الفترة الماضية وخصوص في الخمسينات والستينات كانت مجالا خصبا لانتشار نوع من الافكار السوداء في الساحة الاسلامية فقد غلب الفكر الذي ينزع الى الرفض والتشاؤم وسوء الظن بالآخرين على اختلاف نزعاتهم واتجاهاتهم، حتى المسلمين منهم ... فظهرت كتب الشهيد سيد قطب التي تمثل المرحلة الاخيرة من تفكيره والتي تتضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة الى النظام الاسلامي والسخرية بفكرة تجديد الفقه وتطويره، واحياء الاجتهاد، وتدعو الى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الاخرين واعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة، والاستخفاف بدعاة المرونة والتسامح..".[٢١]

كما إن للعامل السياسي الأثر الأكبر في توجهات الشيعة في تفاسيرهم، حيث يعتبر المفسرون الشيعة من أكثر المفسرين الذين تأثروا بالعامل السياسي على مر العصور التاريخية، يقول خالد عبدالرحمن العك: "ولعل أنشط الطوائف في تفسير القران تفسيرا مذهبيا أو سياسيا هم الشيعة وقد توسعوا في ذلك، حتى صارت لهم تفاسير خاصة، وغالى البعض في هذا المجال مغالاة سيئة".[٢٢]

---

[٢١] أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، يوسف القرضاوي، (ص: ١٠٩-١١٠).

[٢٢] أصول التفسير وقواعده، خالد عبدالرحمن العك، (ص: ٢٤٩).

حتى أنك لا تجد مفسرا شيعيا إلا ينتصر لمذهبه من خلال توجيه النصوص القرآنية توجيها يعزز مكانتهم السياسية في العالم الاسلامي باعتبارهم التابعين لمن كان المدار القرآني دون غيره من الصحابة وهو الامام علي "رضي الله عنه".

نلاحظ من خلال ما عرضناه تأثير العامل السياسي في اتجاهين تفسيريين مختلفين، مما يشير الى أثر كبير شكّله العامل الساسي في تنوع اتجاهات المفسرين واختلاف مآخذهم وطرق عرضهم وكيفية تأثرهم به.

وعلى الناحية الفكرية واكب تطور التفسير تاريخ الأمة من جهة، وتاريخ المعرفة من جهة ثانية، فلطالما كان التفسير مرآة للحياة العامة والخاصة حتى إن التفاسير الموجودة في مكتبة القرآن لتمثل تاريخ المسلمين بصحيحه النافع وزبده الفاسد، فتاريخ الإسلام تاريخ للتفسير وكذا تاريخ الفكر والمعرفة.[٢٣]

وقد كان للبيئة أثر كبير في رسم الخط الفكري للمفسر منذ العصور الأولى للتفسير، يقول حسين حنتوش: "أما ما ينسب إلى مفسري مدرسة العراق من التوسع في الراي بحرية أكثر من بقية المدارس الأخرى فقد كان هذا بعد عصر التابعي وتلاميذهم حيث اقتضى ذلك عاملين مهمين هما البيئة وتعدد منابع الثقافة ، ما دفع المفسرين في العراق الى التوسع في هذا الاتجاه من التفسير أكثر من أي عهد مضى".[٢٤]

وعليه فإن الناظر الى تفاسير المفسرين ومسالكهم فيها يرى تاريخ الأمة والمعرفة، ويرى خلاصة ما رآه كل مفسر في عصره، عندما نظر الى آيات القرآن ليرى من خلالها أوضاع الأمة وعللها وأسقامها، ويرى أحوال واقعها وموقعها بين الأمم، ثم يرى كيف يكون القرآن هادياً مرشداً لها في جوانب حياتها المختلفة.[٢٥]

---

[٢٣] ينظر: تفسير سورة الرعد، محمد صالح علي مصطفى، (ص:٢٤). وينظر أيضا: التفسير والمعرفة الحديثة، (ص: ٤٥).

[٢٤] الاتجاهات الحديثة في تفسير القران الكريم ، حسين درويش حنتوش، (ص: ٢٩).

[٢٥] ينظر: تفسير القرآن أشكالية المفهوم والمنهج ، د. زياد خليل محمد الدغامين، (ص:١٦).

إن إظهار الحلول القرآنية للمشكلات التي تواجه الأمة ابتداء والانسانية عموماً، هي المهمة الحقيقية للمفسر، ومن هنا تبرز غاية أعمال المفسرين، وأنها ليست مجرد ردود أفعال، لا تصلح لأن تكون ردا على مشكلات الحياة.[٢٦]

لقد كان لتعدد المدارس الفكرية والتفسيرية في التفسير المعاصر أثر واضح في تعدد الاتجاهات التفسيرية، ذلك لأن لكل مدرسة من هذه المدارس توجهات خاصة وطرق اصلاحية خاصة بها.

إن تنوع هذه المدارس الاصلاحية واعتمادها على ثقافات مختلفة – وان كان اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد – أسهم بشكل كبير في تنوع المخرجات التفسيرية لهذه المدارس وتباين اتجاهاتها ومناهجها الاصلاحية بالرغم من الاتفاق على الهدف وهو العودة بالمسلمين الى دينهم ومحاولة منهم لفهم القران فهما عصريا يتلاءم وروح العصر، كل هذا كان أشبه بردة فعل للتقدم الذي حصل في أوربا على جميع المجالات، وما يقابله ذلك عند المسلمين من تخلف وجمود.

ومن أهم المدارس الفكرية التي نشأت هي "**مدرسة الشيخ محمد عبده**" حيث كان مفتي مصر وأحد مشايخ الأزهر وتلميذ جمال الدين الأفغاني الذي زرع به بذور الإصلاح، حيث كانت له جهود اصلاحية واسعة جدا، اعتمدت على دعامتين: تحكيم العقل بشكل مبالغ فيه والتوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية، وقد كان للشيخ تلاميذ كثر في التفسير، ومنهم: محمد رشيد رضا وهو حامل الراية بعد محمد عبده واشهر طلابه، محمد مصطفى المراغي، جمال الدين القاسمي، عبدالكريم الخطيب، محمد دروزة.[٢٧]

وقد كان لهذه المدرسة اتجاهات وافكار تختلف بها عن غير من المدراس، مما أثر في تفاسير أصحاب هذه المدرسة، حيث جاءت أنماط واتجاهات تتباين مع غيرها من المدارس، وقد أجريت الكثير من الدراسات حول هذه المدرسة وغالب القضايا الاسلامية في نظرها وكتبت فيها

---

[٢٦] ينظر: المصدر السابق، (ص: ١٦). ملامح التنوير في مناهج التفسير، د. محمود عزب، (ص: ٦٣).

[٢٧] ينظر: اتجاهات التفسير في العصر الحديث، عبدالمجيد المحتسب، (ص: ١٠٣-١٠٤). تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح الخالدي، (ص: ٥٦٣-٥٦٤).

الكثير من الانتقادات[٢٨]، وتبقى بذلك مدرسة عصرية تعتبر من أهم المدارس التي قام عليها التفسير.

ولعل أبرز ما يمثل هذه النقطة هو ظهور "**المدرسة الحداثية التأويلية**" عن بعض المفكرين الذين حاولوا تنزيل مفاهيم الحداثة وأسسها على القران الكريم، والتي تقوم على العقل والتشكيك في التراث الديني ومحاولة اخضاعه للعلوم التجريبية، وهكذا نشأ فكر مختلف ومدرسة جديدة تختلف كليا عن المدرستين السابقتين وقد كان لها رواد عرب واخرين من الغرب حيث كتبوا بعض الكتابات التي تحاول فهم القران من خلال تطبيق الفكر الحداثي عليها، ومن هذه الكتب: نقد الخطاب الديني لنصر حامد أبو زيد، وفهم القران الحكيم لـ محمد عابد الجابري، والكتاب والقران لمحمد شحرور، وغيرها الكثير.

إضافة لهذه المدارس التي ذكرتها كانت هنالك مدرسة احتفظت بالطابع التقليدي للتفسير والطرق التي فسر بها القران في عصوره الأولى ولكن اعمالهم اقتصرت على التنسيق والتشذيب وحذف الضلالات البائنة والاحاديث الموضوعة واختصار المطولات، وهناك مدارس وفرق وجهود فردية لا طائل من ذكرها والمقصود فُهم.

وعليه فاختلاف هذه المدارس والأسس التي قامت عليها ومشاربها والكيفيات التي فهموا القران بها، أدى الى اختلاف الاتجاهات التفسيرية وتنوعها، فلتنوع الثقافي في المآخذ والقواعد والأسس والمدارس التي ينضوي تحتها المفسر يؤدي الى تنوع المخرجات التفسيرية واختلافها في الطرح والتنظير والفهم.

ولابد من التنبيه هنا على أن الدعوة لتفسير القرآن تفسيراً عصرياً، لا تعني أبدا رفض جهود السلف والانبتات عنها والانتقاص من شأنها فتفاسير القدامى تبقى رصيداً معرفياً هاماً

---

[٢٨] لقد كتب الكثير من الباحثين حول هذه المدرسة ضمنا او أو تأصيلا ومما كتب: منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد الرومي، الاتجاه العقلي السلبي في تفسير المنار لماجد صبحي، القضايا الأساسية للعالم الاسلامي وطرق حلها في نظر مدرسة المنار للأستاذ جمال البنا، الاتجاه السياسي في تفسير المنار، وغيرها الكثير... .

يرجع اليه، وينطلق منه ويضاف عليه . ومن المرفوض علمياً وأخلاقياً أن يقال أن التفاسير القديمة تمارس نوعا من التشريح الذي لا يتأنى الا لجسم ميت.[٢٩]

فصرف النظر عن الاحتجاج بالتفاسير القديمة بحجة أنها جنت جناية عظمى على القرآن لأنها صرفت الناس عن مطالعة النص أو الاستماع اليه وأن هذه التفاسير التي تحولت الى مرويات ركيكة عديدة لا حصر لها لا يجمعها جامع بل يضرب بعضها بعضاً، رأي عاجز على أن يقوم بنفسه، بائن عوار النظر عند مدعيه.[٣٠]

ويدلنا تاريخ التفسير نفسه على أن هذا الالم أصبح لونة ترتسم عليها الحياة الإسلامية بجميع الوانها، وكتابا يكتب فيه كل جيل من الأجيال الإسلامية المتلاحقة صفحة مخالفة لصفحات الأجيال السابقة ، يستعين فيها كل جيل ما تيسر وتوفر لديه من أسرار الكون ونتائج البحوث العلمية في عصره فلكل عصر أو بيئة تفسيره الذي مرآة له، بل لكل مفسر وحده تفسيره الخاص الذي يكشف عن أعماق ذاته، ويعتمد المعنى الذي يستخرجه من النص على مكانة المفسر وشخصيته، وكان القرآن الكريم يجلو نفسه للمفسر بالشكل الذي يريد حسب طبيعة المفسر وثقافته.[٣١]

ومما تقدم نرى أن البيئة الحاضن للمفسر تمثل دورا رئيسيا في صنع عقلية المفسر وتوجيهه لاتجاهات متعددة يكتسبها من بيئته، ولعلني لم استوعب جميع مؤثرات البيئة التي يدخل فيها مكان البلد وما يسيطر عليه من توجهات عقدية وفكرية وسياسية، والتي تؤثر في صنع المفسر واكتساباته للأدوات التفسيرية وكيفية توظيفها.

علاوة على ذلك، فقد اعتاد أهل كل بلد من البلدان على طريقة في التأليف وتحرير الكتب، خاصة ونحن في العصر الحديث هي أصبح كل بلد يحكمه نظام تعليمي معين يفرض على المؤلف أشكالا خاصة في التفسير، وكم رأينا من تأليف في التفسير كان الهدف من أن يكون مقررا جامعيا، وعلى هذا فقس.

---

[٢٩] ينظر: تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا، (ص: ٥٤).

[٣٠] ينظر: المصدر نفسه، (ص: ١١).

[٣١] ينظر: الاسلام (أهدافه وحقيقته) ، سيد حسين نصر(ص: ٥٤) بواسطة، اتجاهات التجديد في تفسير القران الكريم، محمد ابراهيم الشريف، (ص:١٤٥).

نتائج البحث

أولا: أعطى التنوع الثقافي قيمة علمية كبيرة في تفسير النص القرآني المعاصر، على الرغم من بعض السلبيات التي تلّبست به بسبب ضوابط التفسير في بعض الاتجاهات.

ثانيا: يعتبر مصطلح الاتجاه ومصطلح المنهج من المصطلحات المحدثة التي حصل خلط كبير بين العلماء في تحديد مفهوم كل واحد منها.

ثالثا: انقسمت مجالات التنوع الثقافي المؤثر في العلمية التفسيرية المعاصرة الى قسمين، مجالات خاصة تتعلق بشخصية المفسر، ومجالات عامة تتمثل في البيئة التي تحيط بالمفسر بجميع عواملها.

رابعا: انقسمت الاتجاهات التجديدية الى اتجاهات منضبطة كالاجتماعي والأدبي وأخرى غير منضبطة كالاتجاه الحداثي مع شيء من التفريع.

خامسا: مثل الاتجاه الروائي التجديدي الامتداد للتفسير الأثري، مع إعادة في الصياغ والعرض، وتنقية من الشوائب والبدع.

مصادر البحث

القران الكريم

١- الاتقان في علوم القران عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ م، عدد الأجزاء:٤.

٢- البرهان في علوم القران، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

٣- الأساس في التفسير، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، مصر، ط١، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

٤- التفسير والمعرفة الحديثة، د. عبدالحميد بوكعباش، رسالة دكتوراه، الجزائر- جامعة الجزائر- كلية أصول الدين، نوقشت ٢٠٠٣م.

٥- التفسير والمفسرون، د. محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة- مصر، عدد الأجزاء: ٣.

٦- الاتجاهات الحديثة في تفسير القران الكريم ، حسين درويش حنتوش، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم الاسلامية، اشراف: د. عبدالستار حامد ، ١٩٨٦م.

٧- التجديد في التفسير في العصر الحديث، دلال بنت كويران السلمي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، إشراف: أ.د. أمين محمد عطية باشا، (١٤٣٥هـ-٢٠١٥م).

٨- اتِّجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر في العصر الحديث، د. محمد ابراهيم الشريف، دار التراث، القاهرة، مصر، ط١، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

٩- اتجاهات التفسير في العصر الحديث، عبدالمجيد المحتسب، مكتبة النهضة الاسلامية، عمان- الأردن، ط٣، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

١٠- اتجاه التفسير في العصر الحديث، مصطفى محمد الحديدي الطير، مجمع البحوث الاسلامية، القاهرة، د.ط، (١٩٧٥م).

١١- التنوع الثقافي من منظور الأمن المجتمعي، منيغر سناء، رسالة ماجستير، الجزائر- جامعة سطيف- كلية الحقوق والعلوم السياسية – قسم الحقوق، بإشراف الدكتور: مويسي بلعيد، (٢٠١٣- ٢٠١٤م).

١٢- التنوع الثقافي وعلاقته بالقيم التنظيمية داخل المنظمات متعددة الجنسيات في الجزائر، عبد المجيد بكاي، أطروحة دكتوراه، جامعة باجي مختار بعنابه- كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، إشراف: أ.د. رابح العايب، العام الدراسي(٢٠١٥-٢٠١٦م).

١٣- السنن الالهية وتفسير القرآن في العصر الحديث، عمر حيدوسي، أطروحة دكتوراه، الجزائر- جامعة لخضر باتنة- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإنسانية، بإشراف: د. عبدالحميد بوكعباش، (٢٠١١- ٢٠١٢م).

١٤- أصول التفسير وقواعد، خالد عبدالرحمن العك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٢، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

١٥- المعاصرة في إطار الأصالة، أنور الجندي، دار الصحوة لنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م).

١٦- أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٥،(القاهرة١٤٢١هـ -٢٠٠٢م).

١٧- تفسير القرآن أشكالية المفهوم والمنهج ، د. زياد خليل محمد الدغامين، مجلة المسلم المعاصر، س٢١، ع٨١، ربيع الثاني- جمادى الثانية، ١٤١٧هـ-

١٨- تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا، دار الفكر الاسلامي، القاهرة- مصر، (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م).

١٩- تفسير سورة الرعد، محمد صالح علي مصطفى، درا النفائس، الرياض، السعودية، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢٠- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح الخالدي، ط٣، دار القلم، دمشق- سوريا، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).

٢١- دروس في اتجاهات المفسرين، محمد علي الرضائي، ترجمة: قاسم البيضائي، ط٣، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت- لبنان، (٢٠١١م).

٢٢- في ظلال القران، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط٣٧، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م).

٢٣- قضايا إنسانية في أعمال المفسرين، عفت الشرقاوي، دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٩٨٠م.

٢٤- ماهية المعاصرة، طارق البشري، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط١، (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).
٢٥- مقدمة جامع التفاسير، الراغب الاصفهاني، تحقيق: أحمد حسن فرحان، دار الدعوة، الكويت، ط١، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م).
٢٦- ملامح التنوير في مناهج التفسير، د. محمود عزب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ٢٠٠٦م.